ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Bahjat Shibeeb Al-Karallah

General Directorate of Education in Thi-Qar

Email:
bahjatshibeeb@gmail.com

Keywords:

Russian diplomacy, international politics, isolation and neutrality, international balances

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 1.Dec.2024

Accepted 5.Jan.2025

Published 25.Feb.2025

Russian Diplomacy Towards the Revolution of the British Colonies In North America: (1763-1783)

A B S T R A C T

The importance of Russian diplomacy during the British Colonial War in North America emerged significantly in the reality of international relations, especially with the attempts of the Russian Empire to prove its ability to defend international peace, after the failure of All attempts at diplomatic intervention by the countries of the European continent (the West) in the matter of ending the war, as the Russians preferred to delve into the search for acceptable solutions through the window of neutrality, after waiting for the appropriate conditions to be prepared to put forward a proposal to support mediation diplomacy between Britain on the one hand, and the rebellious American colonies and their allies on the other. On the other hand, after the declaration of the alliance between France and Spain to defend the American colonies, the international arena became available for Russian intervention, because the three major countries were preoccupied with the war, in addition to the refusal and stubbornness of both parties to accept political settlements, and they even went to attract and involve other countries in the war, thinking that... The choice of defeat or victory is the best solution. These international conditions created the appropriate ground for Russian intervention after the great political and economic decline in the fields of international politics. The Russian vision had focused on liberating the colonies from British occupation through diplomatic methods, but on the condition that this diplomatic work would not be considered interference in British affairs. Therefore, it was necessary to... Find a way that would not antagonize Britain towards Russia.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol58.Iss2.4181

الدبلوماسية الروسية اتجاه ثورة المستعمرات البريطانية في امريكا الشمالية: (١٧٦٣-١٧٨٣)

م.د. بهجت شبيب فشاخ
مديرية تربية ذي قار

المخلص:

برزت أهمية الدبلوماسية الروسية خلال حرب المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية، بصورة كبيرة في واقع العلاقات الدولية، لا سيما مع محاولات أثبات الإمبراطورية الروسية قدرتها في الدفاع عن السلم الدولي، بعد فشل كل محاولات التدخل الدبلوماسي لدول القارة الاوروبية "الغرب" في مسألة أنهاء الحرب، إذ فضل الروس الخوض في غمار البحث عن حلول مقبولة عبر نافذة الحياد، بعد انتظار تهيئة الظروف المناسبة لطرح مقترح تدعيم دبلوماسية الوساطة بين بريطانيا من جهة، وبين المستعمرات الأمريكية الثائرة وحلفائها من جهة أخرى، بعد اعلان تحالف فرنسا واسبانيا الدفاع عن المستعمرات الأمريكية، وبذلك أصبحت الساحة الدولية متاحة للتدخل الروسي، لكون الدول الثلاث الكبرى منشغلة بالحرب، الى جانب رفض وتعنت كلا الطرفين في قبول التسويات السياسية، لا بل ذهبا الى استمالة واشراك دول اخرى في الحرب ضناً منهم خيار الهزيمة او النصر هو الحل الأمثل. هيأة تلك الظروف الدولية الارضية الملائمة للتدخل الروسي بعد التراجع السياسي والاقتصادي الكبير في ميادين السياسة الدولية، وكانت الرؤية الروسية قد ركزت على تخليص المستعمرات من الاحتلال البريطاني عبر أساليب دبلوماسية، ولكن على أن لا يكون ذلك العمل الدبلوماسي بمثابة التدخل في الشؤون البريطانية، لذلك لابد من إيجاد طريقة لا تثير استعداء بريطانيا لروسيا.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية الروسية ، السياسة الدولية ، العزلة والحياد ، التوازنات الدولية

المقدمـــة:

تلعب الدبلوماسية دوراً حاسماً في العلاقات الدولية، لاسيما في مسألة تسهيل عقد المعاهدات وإبرام الاتفاقيات، وكل تلك الأمور جاءت عبر المسار الدبلوماسي التفاوضي الذي سهل تحديد دائرة الخصومات، إذ كانت مساعي الدبلوماسية الروسية ومنذ اعلان المستعمرات البريطانية الثورة ضد حكومة لندن، دفعت البلاط القيصري البحث عن تسوية سلمية للخلافات السياسية التي سرعان ما تحولت الى نزاع مسلح بين الطرفين، وفي الوقت ذاته أوجدت تلك الظروف فرصة لتحقيق الامبراطورة كاترين الثانية بعض المكاسب السياسية والاقتصادية التي تتماشى مع مصالح روسيا لتوطيد وتعزيز نفوذها، وقد عدت الطريقة الوحيدة لصياغة وتنفيذ أدوات السياسة الخارجية لابد أن يأتي عبر الاساليب الدبلوماسية لضمان المحافظة على مظاهر العلاقات الودية مع بريطانيا من جهة، وفرنسا وأسبانيا من جهة أخرى.

جاءت أهمية البحث الذي ركز على دراسة اختلاف وتباين وجهات نظر العديد من الباحثين والمؤرخين بشأن الدبلوماسية الروسية ومدى تأثيرها على السياسة الدولية في القارة الأوروبية، لكون الروس حاولوا أثبات إهتمامهم المتبادل مع القوى الكبرى في قضية ثورة المستعمرات البريطانية، لأن تداعيات نتائج تلك الثورة قد تنعكس على تأسيس منظومة دولية جديدة لا تنسجم مع التطلعات الروسية في تلك الفترة.

أما بخصوص مشكلة البحث وفرضيات الدراسة فقد جاءت لتوضيح بعض التساؤلات بشأن الدبلوماسية الروسية وكالآتي، هل اتخذت روسيا موقفاً رسمياً دبلوماسياً منحازاً سبق قضية الإعتراف باستقلال المستعمرات المنتفضة؟ وهل تخلي روسيا عن سياستها التقليدية تجاه منافسيها الغربيين سيكون له تأثير بالغ الأهمية على المستوى الاقليمي والدولي؟.

وتأتي أهمية الدراسة في عدة محاور، وكالآتي :

المحور الأول : بدايات الأهتمام الروسي في نصف الكرة الأرضية الغربي:-

بدأت روسيا في عهد كاترين الثانية[١](Katharina II) (Alexander, 1989, pp. 49-54) تولي نصف الكرة الغربي اهتماماً كبيراً، إذ شجعت ومنذ إعتلائها عرش الامبراطورية الروسية على ضرورة مواصلة الرحلات الاستكشافية الروسية لمناطق شمال غرب المحيط الهادئ[٢]، وكانت راغبة في توسيع مناطق نفوذها في تلك المنطقة الغنية بالموارد الطبيعية (Massie, 2012, p. 197)، وبالتالي فكرة السيطرة الروسية تأتي ضمن خطة فرض الهيمنة التجارية، وأحتكار تجارة فراء ثعالب البحر، وبالمقابل عمل الروس على استغلال كل ما من شأنه الوصول الى تلك المناطق، رغم أن بريطانيا وفرنسا كانتا تفرضان هيمنتهما على معظم مستعمرات أمريكا الشمالية المحيطة بالساحل الشمالي الغربي للمحيط الهادئ، الى جانب بعض المستعمرات الخاضعة للسيطرة الاسبانية، ولما كانت تجارة الفراء قد جذبت الروس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بوصفها مشروعاً مربحاً دفعتهم باتجاه البحث والمتاجرة مع سكان تلك المستوطنات (Vejarano , 1945, Vol.I, p. 181).

وعلى الرغم من أحتكار بريطانيا لتجارة المستعمرات في امريكا الشمالية لاسيما بعد هزيمة فرنسا عام ١٧٦٣، والاستيلاء على ممتلكاتها (Szabo, 2007, p. 56)، وربطها سياسياً واقتصادياً بمصالحها عبر بناء قواعد وحصون لتعزيز نفوذها (Nester, 2000, p. 113)، الى جانب صياغة قوانين، وترسيم سياسات خاصة للحفاظ على أمتيازاتها (Nevins & Commager, 1992, p. 65)، كذلك نجحت في تضيق الخناق على منافسيها من الاسبان والروس، إلا أن ممارسات البريطانيين وعلى وجه الخصوص في قضية أمتلاك بيع وأستأجار الاراضي داخل المستعمرات صعد من حدة الخلافات مع مستعمراتها، مما دفع تلك المستعمرات للتمرد على قرارات وقوانين الحكومة البريطانية (Harry, 1981, p. 47)، ومن جهة أخرى أستغلت روسيا القيصرية من جانبها مسألة توتر العلاقات البريطانية مع مستعمراتها إلى توسيع علاقاتها التجارية مع المستعمرات، إذ بدأ تجار مدينة بوسطن Boston مُنذ عام ١٧٦٣ بتصدير التبوغ الفاخرة التي تدر أرباحاً طائلة إلى سان بطرسبرغ، الأمر الذي عدته بريطانيا خرقاً لتعليماتها البحرية التي تمنع سكان المستعمرات من المتاجرة المباشرة مع الدول الأخرى دون موافقتها، وبالتالي أسهمت تلك الأحداث واسباب أُخرى في توتر العلاقات البريطانية مع مستعمراتها الأمريكية (Gaddis, 1990, pp. 4-5).

يبدو أن الروس أستغلوا ظروف التوتر التي شهدتها علاقة المستعمرات في امريكا الشمالية بالحكومة البريطانية لا سيما بعد عام١٧٦٣، إذ شعر سكان المستعمرات بأن بريطانيا لن تكن قد وضعت مستقبل المستعمرات المحررة من الهيمنة الفرنسية موضع التحرر والاستقلال، وكذا الحال بالنسبة للمستعمرات الواقعة تحت هيمنتها المباشرة.

---

(١) الأميرة صوفيا اوكستا انهالت او كاترين الثانية(٢ آيار ١٧٢٩-١٧تشرين الثاني١٧٩٦): أمبراطورة روسية من أصول بروسية"المانية" والمعروفة باسم كاترين الكبيرة او العظيمة، تولت الحكم بعد الأطاحة بزوجها بطرس الثالث في ٢٨آيار ١٧٦٢م، شهد عهدها استقراراً سياسياً كبيراً، إذ شهدت روسيا أبان فترة حكمها الاربع والثلاثون عاماً أنفتاحاً في علاقاتها الخارجية مع القوى الأوروبية الغربية، وقد أضفت على السياسة الروسية تحولاً جديداً في علاقاتها الخارجية عبر ارسال بعثات دبلوماسية داعمة لتوجهاتها السياسية لتصبح روسيا قوة اوروبية كبرى، أما داخلياً شهدت روسيا تطوراً صناعياً وحرفيا وزراعياً، الى جانب حملة أعمار ابتدأت ببناء المدارس والمستشفيات.

(٢) للمزيد من التفصيلات حول بدايات حركة الاستكشافات الجغرافية الروسية للساحل الشمالي الغربي من المحيط الهادئ، ينظر: حمزة ملغوث فعل البديري، موقف روسيا من حرب الاستقلال الأمريكية ١٧٧٥-١٧٨٣، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، العدد/٣٥، تشرين الأول٢٠١٧، ص ص٧٩٢-٧٩٣.

أن شعار الحماية البريطانية لا يتعدى قضية استنزاف موارد المستعمرات الامريكية اقتصادياً لكونها اسواق رئيسة للسلع والبضائع البريطانية، وما يؤكد ذلك الإستمرار بفرض رسوم وضرائب على سكان المستعمرات، وأن شعارات حكومة الوطن الأم في لندن لم يتجاوز قضية الإيفاء بالتزاماتها وتعهداتها تجاه المستعمرات، وقد جاء لضمان مساهمتها في الحرب ضد فرنسا، لذلك تولد شعور قومي أمريكي لدى سكان المستعمرات رافضاً للتعاطف مع البريطانيين، بعد الخذلان والتملص من مسؤولية الحماية بصفة مشتركة، وأن تعويض الخسائر البريطانية يقع على عاتق المستعمرات.
(Szabo, 2007, p. 58).

شعر سكان المستعمرات الأمريكية بقلق وتخوف من التغير المفاجئ في سياسة الحكومة البريطانية، وفي محاولة منها لاحتواء الأزمة دخلت بريطانيا في مفاوضات مع روسيا لعقد أتفاقية تجارية، وألحقتها ببروتوكول لإقامة تحالف عسكري بينهما، وبعد مفاوضات استمرت خلال الفترة ما بين العشرين من حزيران – الأول من تموز١٧٦٦ في سان بطرسبرغ انتهت بتوقيع اتفاقية تجارية بين الدولتين، إلا أن مفاوضاتهما بشأن التحالف العسكري لم تتم لعدم التوصل إلى اتفاق نهائي بشأنها (Bolkhovitionv, 1975, p. 3). وعلى الرغم من فشل محاولات بريطانيا لإحتواء روسيا وأبعادها عن المستعمرات الأمريكية لم تكن بالأمر اليسير لعدة اسباب، ولعل في مقدمتها مسألة توسيع رقعة مناطق النفوذ الروسي التجاري، الذي بدوره عمق فجوة التنافس باتجاه فرض قوة الإرادة السياسية، وحفزت رغبة الدخول في نزاع عسكري مسلح بين الجانبين بعد فشل التسويات الدبلوماسية لإسترضاء أحد الجانبين، الى جانب ذلك هيأت سرعة الاحداث المتصاعدة في المستعمرات الأرضية الملائمة للتدخل، وقد أنتفت حاجة روسيا في قبول الإملاءات البريطانية المشروطة بتعاون الطرفين (Ferling, 2004, p. 99).

أجبرت ظروف التنافس الدولية الروس على التوسع تجارياً عبر التوجه شرقاً من جزر كوماندر(Commander Islands) الى شواطىء آلاسكا (Alaska) عام ١٧٧٤، ومع ذلك استرعت أحداث المستعمرات الأمريكية أهتمام الدبلوماسيين الروس في وزارة الخارجية (Ferling, 2004, p. 102)، إذ أمعنوا في دراسة بوادر وحقائق التوترات الناشئة في تلك المستعمرات، إبتداءً من تقرير السفير الروسي أليكسي إيفانوفيتش موسين بوشيكين (Aleksei Ivanovich Musin–Pushkin) في لندن، الذي أكد لحكومته في الحادي والثلاثين من تشرين الثاني١٧٧٤م رغبة سكان المستعمرات المتصاعدة بالدفاع عن حقوقهم بالتحرر من الهيمنة البريطانية، مشيراً الى أن الخلافات بين المستعمرات وحكومة لندن في طريقها الى الحرب، التي ستنعكس بالضرر على مشروع توسيع منطقة التبادل التجاري الروسية مع المستعمرات الامريكية (Bolkhovitionv, 1975, p. 3). يبدو أن الدبلوماسيين الروس قد حصلوا على تقارير رصدت التحركات الثورية في المستعمرات الامريكية الشمالية، وبعيداً عن اسباب إندلاع حرب الاستقلال الأمريكية التي اسهبت المصادر بتفصيلاتها، ما يهمنا هو تأثير الحرب وأثرها في تقرير مصير الدبلوماسية الروسية حيال بريطانيا ومستعمراتها الثائرة، والموقف الدبلوماسي الروسي من تلك التطورات الخطيرة على العلاقات الدولية، لا سيما أن الروس كان لهم مصالح تجارية رابحة ليس فقط مع المستعمرات الأمريكية، وإنما مع اسواق الدول الاوروبية التي تعتمد على المستعمرات في تسويق مواردها الأولية، إذ اصبح الشغل الشاغل لروسيا هو كيفية الحفاظ على أمن واستقرار التجارة الدولية في ذلك الجزء من العالم.

المحور الثاني: الموقف الروسي من حرب المستعمرات الأمريكية:

راقب الدبلوماسيين الروس عمليات السلب والنهب والقرصنة في البحار، ورغم ذلك رفضت كاترين الثانية تقديم أية مساعدات عسكرية إلى بريطانيا لإخماد ثورة مستعمراتها المنتفضة، إذ أفشلت مساعي الأخيرة بعقد تحالفات سياسية – عسكرية في الأول من ايلول ١٧٧٥مع روسيا القيصرية لدعم حربها ضد المستعمرات، وطالبت روسيا بالتدخل الى جانبها

وأمدادها بعشرين الف مقاتل لقمع التمرد الثوري (Bolkhovitionv, 1975, p. 4). إلا أن الموقف الروسي الرافض للتدخل في تلك القضية لم يطرأ عليه تغير جديد (Golder, 1915, p. 93).

بقي موقف البلاط القيصري محايداً حتى مع اعلان المستعمرات البريطانية في امريكا الشمالية استقلالها في الرابع من تموز ١٧٧٦، إذ ارسل السفير الروسي في لندن فاسيلي غريغوريفيتش(Vasilii Grigor'evich Lizakevich) الى وزير الخارجية الكونت نيكيتا إيفانوفيتش بانين(Nikita Ivanovich Panin) في الثالث عشر من تموز تقريراً سرياً حمل وصفاً تفصيلاً لمحتوى الإعلان الأمريكي وأهميته، وقد أطلع الوزير الروسي في التاسع من آب من العام نفسه الإمبراطورة كاترين الثانية على التقرير، الذي اشار الى وحدة المستعمرات في دولة حرة مستقلة، وقطع جميع علاقاتها مع بريطانيا، ولها الحق في تقرير مصيرها السياسي في اعلان الحرب او السلام، وعقد التحالفات واقامة العلاقات التجارية والاقتصادية (Bashkina, Aug.9–Sp. 20, 1776, p. 251).

وبالرغم من ذلك كان فاسيلي دبلوماسياً حذراً في أنتقاء مفردات تقريره للبلاط القيصري، وعلى وجه الخصوص في مسألة عدم ذكر المبادئ السامية والحقوق الطبيعية للتحرر ومقاومة الهيمنة والاضطهاد البريطاني، ومن جانب آخر قام بتقييم صانعي الاعلان الأمريكي بشكل ايجابي لاسيما عندما اشار في تقريره بالقول الى "شجاعة القيادة الامريكية في صياغة وثيقة الإعلان الرسمي للحرب على بريطانيا" (Bolkhovitionv, 1999, p. 1389).

أما بخصوص الموقف الروسي من ثورة المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية فقد كان متريثاً اذ لم نقل متأخراً، لعدة عوامل أسهمت في تحفظ روسيا القيصرية على البت في مساندة أحد طرفي الصراع البريطاني–الأمريكي، وفضلت الانكفاء دبلوماسياً على خوض مباحثات الوساطة، وكان ذلك الخيار راجع للعوامل الآتية:–

١–تأخر وصول التقارير للحكومة الروسية رغم تسارع وتيرة الأحداث بين بريطانيا ومستعمراتها، وتباين المواقف الدولية بين دول العالم الكبرى ما بين التعاطي او التعاطف مع أحد طرفي الصراع، إذ لم يكن للموقف الروسي دوراً متناغماً مع سير العمليات الحربية، وما آلت اليه نتائج المعارك، ولم تسمع كاترين الثانية او بلاطها الحاكم عن سير تلك المعارك إلا بعد اسابيع على حدوثها (Bolkhovitionv, 1999, p. 1389).

٢–الانكفاء الروسي عن التدخل في الشؤون البريطانية، أبعدها عن مواكبة الاحداث الجارية على أرض المستعمرات الأمريكية، لعل السبب في ذلك يعود لمجموعة من الحقائق. أولاً: بعد المسافة بين روسيا والمستعمرات الأمريكية.

ثانياً: انعدام التواصل او التعاون والتنسيق بين روسيا والمستعمرات الامريكية وعلى مختلف المجالات، مما صعب على روسيا القيصرية عملية استقراء المواقف الدولية الداعمة للمستعمرات الثائرة والتخلي عن الحياد، قد أثر وبشكل كبير على رصد او تبني الحكومة الروسية موقف واضح وصريح من الحرب الدائرة بين بريطانيا ومستعمراتها الثائرة، لأن ترشيح كفة طرف على آخر معناه الدخول في الحرب بصورة مباشرة.

٣–رغبة الدبلوماسيين الروس وعلى رأسهم مستشار السياسة الخارجية الروسية نيكيتا بانين، الذي أبدى وجهات نظر أقل ما نصفها بأنها جاءت متناغمة مع رغبة وتطلعات كاترين الثانية التي فضلت خيار الحياد بشكل مؤقت ولإعتبارات سياسية، يأتي في مقدمتها الحفاظ على علاقات السلام مع بريطانيا (Bolkhovitionv, The Beginnings of Russian – American Relations 1775-1815, p. 4).

٤–هددت حرب المستعمرات الأمريكية التجارة الدولية، وأثرت سلباً على اقتصاديات روسيا القيصرية، وبذلك عدت الغطرسة البريطانية مصدر تهديد لمصالحها وعلاقاتها التجارية والاقتصادية، إذ رفض الروس الدخول بالحرب، وعدوها مغامرة سياسية غير مضمونة.

٥-التعاطف الروسي مع ثورة المستعمرات الامريكية قد أتضح وبشكل جلي بعد رفض كاترين الثانية في الأول من أيلول ١٧٧٥ طلب الدخول في تحالف مع حكومة الملك جورج الثالث (George III) ملك المملكة البريطانية المتحدة، رافضة الهيمنة البريطانية، وتحديها للدول الكبرى، والزامها بصياغة سياساتها لتكون موضع قبول لتوجهاتها في ذلك الجزء من العالم (Bolkhovitionv, 1999, p. 1390).

يبدو أن التزام الحياد وعدم الدخول كطرف في الحرب الدائرة بين بريطانيا والمستعمرات الامريكية كان لحسابات سياسية أبرزها تحقيق الاستقرار السياسي في القارة الأوروبية، لذلك اخفت حكومة البلاط القيصري الروسي مساعي الاهتمام الحقيقي بثورة المستعمرات الامريكية، وظهر ذلك الأمر في رفض كاترين الثانية التحالف مع بريطانيا في قمع وأنهاء ثورة المستعمرات، وأظهرت بذلك عدم تبعيتها لمغريات التحالف مع بريطانيا، رغم أن الموقف الروسي كان مدعاة لعدم الاهتمام الاستراتيجي بالمستعمرات الامريكية إذ لم تبدي اي اعتراف او مساندة علنية للثورة الأمريكية. وبذلك كان رفض كاترين الثانية نتيجة حتمية وإشارة مبكرة للدبلوماسية البريطانية مفادها تخلي البلاط القيصري في روسيا من التعامل مع المعضلة البريطانية في أمريكا الشمالية، وأن مسألة ارسال قوات عسكرية روسية للقضاء على ثورة المستعمرات الامريكية لم يكن بالأمر المعقد او المحرج لتدخل الروس في الحرب، ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد بل كانت الدبلوماسية الروسية تسير بخطى ثابتة نحو دعم القوى المعادية لبريطانيا وأن كانت حديثة النشوء، لتقليص قوتها وأبعادها عن مناطق نفوذ قد تكون ضمن أولويات السياسة الروسية.

ومع ذلك رفضت كاترين الثانية التدخل في حرب المستعمرات الأمريكية، رغم تجدد مطالب الحكومة البريطانية للأمر ذاته، إلا أن البلاط القيصري فضل عدم الانحياز الى أحدى طرفي النزاع، لاسيما أن دعوة الحكومة البريطانية جاءت لردع ما وصفته بالتمرد والعصيان الأمريكي، وبالرغم من ذلك أولى الروس مسألة الحفاظ على الحياد أهمية كبيرة إشارة الى عدم رغبتهم في تصعيد الموقف مع إسبانيا، التي كانت تميل لدعم الأمريكيين. رغم التحذيرات البريطانية تمسكت روسيا بموقفها الرافض للعقوبات الاقتصادية التي أقرتها بريطانيا ضد مستعمراتها الأمريكية، معتبرةً تلك السياسات لن تحقق الاستقرار. الى جانب ذلك حاولت حكومة لندن استغلال كل الفرص لجر الروس الى عقد تحالف ففي التاسع والعشرين من تشرين الثاني١٧٧٩ حمل السفير البريطاني في بطرسبرغ السير جيمس هاريس Sir James Harris رسالة حكومة جلالة الملك الى البلاط القيصري، طالباً تقديم مساعدات ودعم روسي للمجهود الحربي البريطاني، وأن حكومة جلالته على أستعداد لقبول اي شروط تفرضها كاترين الثانية مقابل موافقتها في مواجهة الأمريكيين وإخماد ثورتهم، إلا أن كاترين ظلت صامدة رغم المغريات، ورفضت إلزام حكومتها بالتدخل لصالح البريطانيين (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, p. 254).

رغم أن الفرصة كانت مؤاتيه للتدخل الروسي في الشؤون الأمريكية عبر التحالف مع بريطانيا لتغيير موازين القوى، إلا أن كاترين الثانية اصرت على عدم التدخل وأكتفت بموقف المراقب الحذر للتطورات المتسارعة على الساحة الأمريكية، وحاولت عدم التورط بالصراع القائم آنذاك، ومن جانب آخر عدة المشاركة بالحرب الى جانب بريطانيا بمثابة تشجيع للتعنت والغطرسة البريطانية التي بدأت أكثر وضوحاً في تجاوز فرص استعادة التوازن الدولي، في محاولة منها للتفرد بصياغة نظام جديد تكون بريطانيا المتصدر لحل ازمات العالم دون الحاجة الى تدخل حلفائها الأوروبيين، لذلك كانت الحرب الثورية الأمريكية قد منحت البلاط القيصري في روسيا رؤية بريطانيا المنهكة بالحرب قد تتراجع تدريجياً عن التدخل في الشؤون الأوروبية او الدولية على الاقل حتى استعادة قوتها، وأن هزيمتها في تلك الحرب سيقوض نفوذها، ويرغمها على التراجع عن اساليبها الاستعمارية التي احرجت بها حلفائها قبل منافسيها.

إن رؤية البلاط القيصري الروسي للحرب الدائرة بين بريطانيا ومستعمراتها كان محظ اهتمام سياسي ولابدَّ من استغلاله دبلوماسياً، إذ سنحت الفرصة لكاترين الثانية التوسط بين القوى المتحاربة في الثامن والعشرين من شباط ١٧٨٠، بعد أن تأكدت بريطانيا أن الدول الغربية الكبرى مرتبطة بأحلاف وتعاقدات سياسية لا يمكن توجيهها كيفما تشاء، أشارت على روسيا قبول فرصة انفتاحها على التفاوض، بشرط إلزام فرنسا وإسبانيا احترام الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة سابقاً بين الأطراف الثلاث فيما يخص مناطق النفوذ في أمريكا الشمالية، الى جانب تعهدهما إيقاف مساعداتهما الحربية في دعم المجهود العسكري لثوار المستعمرات الأمريكية، وقد أقترحت روسيا بذلك الخصوص وساطة دولية عبر توجيه دعوة خاصة للأمريكيين لقبول الجلوس على طاولة مفاوضات سياسية مع البريطانيين (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, p. 255). إن مصير مباحثات ايقاف الحرب لم يكن بالأمر السهل، إلا أن فرصة التوسط لربما تفضي الى عقد أتفاق للسلام بين الطرفين، بالرغم من رغبة كاترين المشاركة وبصورة فاعلة لعقد أتفاق بين القوى الدولية المتحاربة، بهدف تعزيز مركزيتها ووضعها موضع وساطة الأقوياء لتكون جزء فاعل في تقرير مصير السياسة الغربية والشؤون الدولية. إلا أن مبادرة السلام قد تواجه برفض خصوم بريطانيا، لأن المشاورات البريطانية الروسية لم تعرض على القوى الاخرى المساندة للأمريكيين في حربهم.

المحور الثالث: دبلوماسية الوساطة الروسية بين السلم والتوازن:

إن شروط بريطانيا لإيقاف حرب المستعمرات لم تكن مجرد مقترحات، وأن قضية دعوة الأمريكيين الى طاولة الحوار من دون ضمانات دولية أمر غير قابل للتفاوض، لإلزامهم بالتعهدات البريطانية المشروطة، إذ كانت الوساطة الروسية أمام خيارين لا ثالث لهما، أما الموافقة والالتزام بالاشتراطات البريطانية المقترحة، أو أن الوساطة الروسية قد تواجه بالرفض من الأمريكيين وحلفائهم، وبذلك تكون جهود روسيا مقتصرة على جمع الخصوم للحوار دون ابدأ آية وجهات نظر، وبالتالي الابتعاد وعدم التدخل في شؤون المستعمرات الأمريكية للحفاظ على حيادها، هذا التحول في قراءة الاحداث الدولية أنعكس على تباين واختلاف وجهات النظر بين مستشاري كاترين الثانية في تقييم دبلوماسية الوساطة (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, p. 255).

بالرغم من ذلك حاول الروس عدم إظهار ميلهم او تعاطفهم تجاه ثورة المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية، إلا أن ذلك الأمر لم يبرر عدم تورط البلاط القيصري الروسي في أبداء رغبته وبصورة غير مباشرة في مسألة وضع حد للنفوذ البريطاني في ذلك الجزء من العالم، وأن الوساطة الروسية بين الأمريكيين وحلفائهم من جهة، وبريطانيا من جهة أخرى، قد لا تكون منسجمة مع توجهات السياسة الخارجية الروسية التقليدية تجاه بريطانيا، إذ لم تكن أكثر من مناورة دبلوماسية أجلت قضية الاعتراف الرسمي باستقلال المستعمرات الأمريكية.

حذر نيكيتا بانين ومنذ اندلاع الحرب كاترين الثانية من مغبة أية ردة فعل سياسية روسية تجاه بريطانيا، لأن ذلك سيفهم على أنه بمثابة التدخل في شؤون المستعمرات، وأشار على كاترين الثانية "بعدم إظهار أي نوع من التعاطف الدبلوماسي او التحيز لأي من الجانبين"، وأن تستمر جهود الوساطة تحت الرعاية الروسية، لتعزيز مكانة روسيا القيصرية عبر الانخراط في تبني مفاوضات جماعية، لتسوية النزاعات وأنهاء الحرب وإعادة أرساء مبادئ الاستقرار والسلم الدولي (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, p. 256). وبالمقابل فضلت كاترين الثانية أعفاء نيكيتا بانين من منصبه كمستشار واستبداله على الفور بمفضلها الأمير غريغوري بوتيمكين (Grigori Potemkin)، الذي كان يرى بأن رغبة بانين في "السلام" غير مجدية لا سيما مع توسع دائرة الصراعات الدولية على أرض المستعمرات الأمريكية، وعد "التوازن" خياراً مناسباً لتقييم وتوجيه المرحلة التوسعية المقبلة للسياسة الروسية، رغم تمسك كاترين الثانية بالحياد، إلا أن عمليات القرصنة والسلب والنهب الى جانب المداهمة والتفتيش

التي قام بها الاسطول البريطاني في البحار الدولية، والتي طالت السفن التجارية الروسية هدد تجارة الشحن البحري، مما قد أثار حفيظة كاترين الثانية وبلاطها القيصري الذي بدأ التفكير عملياً بإيجاد مخرج للأزمة ولكن بعيداً عن الانخراط بالحرب او إظهار الميل والانحياز لأحد طرفي الصراع، بقدر ما كان التدخل الروسي يأتي ضمن الحفاظ على مصالح التجارة الدولية، ورفض عمليات توسعة الحرب (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, p. 256).

أعتمدت كاترين الثانية على سياسة التوازن كأساس للعلاقات الدولية الجديدة، في ظل تضارب المصالح التجارية لروسيا القيصرية مع المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية ودول أوروبا، التي حظيت بأهمية كبيرة لاسيما بعد ممارسات الأسطول البريطاني التي أثارت حفيظة القوى الدولية المحايدة، وقد دفعت تلك التحديات الأمريكيين الى تهديد التجارة البريطانية رداً على تسببها بتهديد التجارة مع روسيا، ومن جهة أخرى حرص الامريكيين على تأمين نوع من الدعم المعنوي المساند للاشتراطات الروسية المحايدة، الخاصة بتعزيز مساعيها الدبلوماسية في أيقاف الحرب.

إن سياسة التوازن الروسي قد أبعدت البلاط القيصري الروسي عن واجهة التعامل بصورة مباشرة مع المسألة الأمريكية، وحاولت كاترين الثانية تعضيد حياديتها عندما رفضت في الثاني من أيار ١٧٨٠ إقامة علاقات دبلوماسية مع المستعمرات الامريكية المنتفضة (Current, 1955, p. 106)، وأمتنعت عن قبول انضمام مندوب البعثة الامريكية فرانسيس دانا[٣](Francis R. Dana) التوقيع على معاهدة تجارية عرفت بـ"عصبة الحياد المسلح League of Armed Neutralism" (Nolan, 1997, p. 67)، لأن الأمريكيين كانوا الطرف الرئيس بين المتحاربين، لا سيما أن هدف العصبة حماية حقوق المحايدين التجارية من المتحاربين، وجاءت تلك المعاهدة للرد على تصميم البريطانيين في استخدام قوتهم البحرية لمنع المحايدين من المتاجرة مع الامريكيين وحلفائهم الآخرين، ومن جانب آخر ايقاف الاعتداءات والقرصنة الأمريكية على سفن الشحن التجارية المزودة بالأسلحة والذخائر لتوفير الحماية لأساطيل النقل البحري (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, Sep. 28,1780, p. 261).
ومن جهةً أخرى رفضت كاترين الثانية أن تكون الأراضي الروسية أو التي تقع ضمن مناطق نفوذها مصدراً لتهديد بريطانيا او لمساندتها عسكرياً، وكذلك الحال مع المستعمرات الامريكية، وقد أثبتت ذلك في الثامن والعشرين من أيلول ١٧٨٠، عندما وجهت القيادة العسكرية بضرورة منع أي تعاون مع الأطراف المتحاربة، رداً على معلومات استخباراتية مفادها أن رجلاً بريطانياً كان يقوم ببناء سفينة للمستعمرات الأمريكية في مدينة ارخانجيل "Archangel" الروسية، وقد أتخذت موقفاً حاسماً عبر توجيه حاكمها العام هناك بضرورة توخي الحذر والأبلاغ عن مثل هكذا أمور، أثبتت سياسة التوازن للبريطانيين بأن روسيا القيصرية وسيط يحظى بقبول المتحاربين، وأن التعاطف الروسي مع الامريكيين لا أساس له من الصحة (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, Sep. 28,1780).

وعلى الرغم من الموقف الروسي الدبلوماسي المتوازن من وجهة النظر البريطانية، قد دفع بالأمريكيين لإستغلال فرصة الدخول في تحالف دولي، لا سيما بعد اعلان روسيا القيصرية رغبتها بتوسيع دائرة تحالفاتها الدولية المحايدة،

---

(٣) فرنسيس ريتشارد دانا (١٣حزيران١٧٤٣–٢٥نيسان١٨١١)محامي وسياسي ودبلوماسي أمريكي، ومن اشد المعارضين للسياسة البريطانية، وأحد أشهر اعضاء الكونغرس القاري عام١٧٧٤، ومبعوث المستعمرات المفاوض لتسوية الخلافات مع حكومة لندن عام ١٧٧٥، وأبرز اعضاء الهيئة التشريعية التي صاغت اللبنات الأولى للنظام الأساسي الأتحادي عام ١٧٧٨م، والمبعوث الأمريكي بصفة وزير مفوض الى روسيا في ١٩كانون الأول ١٧٨٠م–١٧٨٣م.

لاتخاذ موقف موحد تجاه الأطراف المتحاربة، ورحبت روسيا في مطلع كانون الثاني١٧٨١ بانضمام هولندا وبروسيا والبرتغال، الى جانب الدنمارك والسويد وفرنسا وأسبانيا (Reddaway, 1961, p. 298). وفي الوقت نفسه أرجت كاترين الثانية في الثاني والعشرين من كانون الثاني١٧٨١ قبول أوارق أعتماد المبعوث الأمريكي فرانسيس دانا الى سانت بطرسبرغ كأول وزير مقيم، لأنه سيكون بمثابة أعتراف روسيا باستقلال المستعمرات الأمريكية، وعدت ذلك الأمر عملاً عدائياً ضد بريطانيا، وبالتالي من شأنه عرقلة تحقيق أهداف الاستراتيجية الروسية، لذلك لم تكن كاترين الثانية قطعت تواصلها الدبلوماسي مع المستعمرات الأمريكية فقط، وأنما حاولت حجب كل قنوات التواصل الدبلوماسي والسياسي وبصورة مباشرة، وعدت التعاطف مع أعلان انفصال المستعمرات الأمريكية واستقلالها عن بريطانيا مخالفاً لدبلوماسية التوازن الروسية (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, p. 262).

يبدو أن رفض كاترين الثانية لقبول أوراق اعتماد المبعوث الامريكي جاء لأعتبارات سياسية، إذ لم يتأكد لكاترين حتى ذلك الوقت نجاح الأمريكيين وصمودهم في التحرر والاستقلال، فضلاً عن تحفظها على الثورة الأمريكية كمشروع للتحرر القومي لكونه لا يتوافق مع طبيعة النظم الملكية التقليدية الحاكمة، لذلك رفضت قبول التمثيل الدبلوماسي والسياسي لإقامة علاقات ودية مع الأمريكيين، أو قبول مشاركتهم في عصبة الحياد المسلح.

وبالرغم من ذلك كانت مهمة دانا في أقناع البلاط القيصري الروسي الاعتراف باستقلال المستعمرات الأمريكية قد فشلت في مسعاها، وفضل وجوب التدخل الدبلوماسي الفرنسي عبر الوزير المفوض في سان بطرسبرغ الكونت دي فيرجنس (De Vergennes)، والذي حاول من خلاله الحصول على المشورة في أقناع مستشاري كاترين الثانية، ففي الثاني والعشرين حزيران ١٧٨٠م منح دانا فرصة التشاور الدبلوماسي مع مستشار الشؤون الخارجية في البلاط القيصري، لكن محاولة دانا في أنشاء علاقات ودية مع روسيا القيصرية لم يكتب لها النجاح (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, p. 263).

من ناحية أخرى، استمرت روسيا في نهجها القائم على حماية مصالحها الدولية، وقد تمكنت من تنظيم قوتها الى جانب المحافظة على علاقاتها مع القوى الدولية الأخرى المتصارعة، بعيداً عن التدخل وبشكل مباشر في المواجهة العسكرية، وظهر ذلك الأمر بوضوح خلال حرب المستعمرات الأمريكية، لاسيما عندما تمكنت وبنجاح الاستفادة من تلك الظروف في قضية تعزيز موقفها الدبلوماسي المحايد بين القوى المتنافسة، وعلى الرغم من ذلك حقق الروس نجاحاً كبيراً عبر الضغوط التي مورست ضد بريطانيا، لإجبارها على وقف الحرب، وقبول مقترحات الوساطة ومساندة مشاريع التسوية السلمية، وقد اجبر الإصرار الدبلوماسي الروسي القوى الدولية الالتزام بسياستها، وفسح المجال للتوصل الى تفاهم حول ايقاف الحرب، وبذلك قدمت روسيا نموذجاً للتوازن دون الأضرار بمصالح القوى الأخرى.

كانت كاترين الثانية أكثر حرصاً وحذراً في احترام سياسة ألد خصومها الدوليين وأقصد هنا بريطانيا، وأن روسيا القيصرية رغم تحالفها مع بعض دول عصبة الحياد إلا أن ذلك التحالف لا يعني أعلان الحرب على بريطانيا أو نجاح المتعاهدين في عزلها سياسياً وارغامها على قبول شروط المحايدين، وإنما جاء لضمان مصالح التجارة الدولية، إذ كان من السابق لآوانه أعلان هزيمتها رغم تحالف الإسبان والفرنسيين مع الأمريكان، وذلك ما استدعى كاترين الثانية على التريث في الدخول بمارثون الانحياز او التعاطف مع أحد طرفي النزاع، رغم أتساع دائرة الحرب ألا أن نتائجها غير مطمئنة للدبلوماسية الروسية، وكانت الأحداث رغم تسارع وتيرتها تشوبها بعض الضبابية في تبني المواقف الحاسمة تجاه أحد الأطراف المتحاربة (Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, p. 263).

إن عصبة الحياد المسلح أوجدت تكتل قاري موجه ضد الغطرسة البريطانية في البحار الدولية، وأن ذلك الأمر أسهم بشكل او بأخر في خنق العمليات الحربية للأسطول البريطاني ضد المستعمرات الأمريكية الثائرة، ومنعها من التفرد والسيطرة البحرية ومن ثم تعزيز تواجدها في المياه الإقليمية لدول العصبة، مما أسهم في تخفيف الضغط على المستعمرات الأمريكية.

نجح الائتلاف الدولي المحايد برعاية روسيا القيصرية التي رفضت من جانبها عروض الإغراءات البريطانية التي تجددت في مطلع عام ١٧٨١عندما أبلغت كاترين الثانية بالتنازل عن جزيرة مينوركا "Menorca" وهي أهم الجزر الاسبانية الواقعة في البحر المتوسط، وبالمقابل رفضت العرض السري للمندوب الأمريكي دانا المقيم في سان بطرسبرغ الذي فشل في اقناع الروس بالحصول على تسهيلات وأمتيازات تجارية في حال حصل على إعتراف كاترين الثانية باستقلال المستعمرات (Golder, 1915, p. 93). ولضمان روسيا دبلوماسية الحياد المسلح رحبت بالتحاق الإمبراطوريتين النمساوية والعثمانية للعصبة في تموز ١٧٨١، في محاولة لتحقيق التوازن بين الفرقاء الأوروبيين، ولكن تلك القوى المحايدة ظلت عاجزة عن إيقاف الحرب البريطانية المدمرة على المستعمرات الأمريكية، ومن المثير للاهتمام أن تلك القوى الدولية أدركت مخاطر وتداعيات الانضمام للعصبة، لأن القوة الحربية للأسطول البريطاني كافية للتفوق على أساطيل جميع دول العصبة، لذلك فضلت كاترين الثانية إتباع دبلوماسية العزلة للضغط على بريطانيا سياسياً، وبالتالي أجبارها على قبول وساطة التفاهمات الروسية المتوازنة (Florinsky, 1955, p. 109).

وقد تابعت بريطانيا كل خطوات الأمريكيين للحيلولة دون تحقيق أهدافهم، لاسيما عندما حذر جيمس هاريس مالمسبري[٤](James Harris Malmesbury) الوزير البريطاني المفوض في بطرسبرغ في العاشر من آب١٧٨١ البلاط القيصري الروسي من "أن أي تعاون أو أعتراف من قبل روسيا باستقلال المستعمرات فأنه سوف يفقدها مكانتها التجارية وارتباطها بالأسواق البريطانية (Griffithe, 1970, p. 396). وبالرغم من محاولات المتحاربين الفاشلة في استمالة روسيا الى جانب أحدهما، وجد الباحث موقفين متباينين لكلا الطرفين، الأول جاء نتيجة الفهم الأمريكي غير المدروس دبلوماسياً لقواعد السياسة الدولية في القارة الأوروبية، إبتداءً فشل دانا في مهمته الى بطرسبرغ، لا سيما عندما رفضت كاترين الثانية قبول اعتماده مبعوثاً أمريكياً فوق العادة، ومن جانب آخر رفضت مقترح الأمريكيين بالانضمام الى عصبة الحياد، وكان ذلك الموقف الروسي الثابت من قضية عدم الاعتراف باستقلال المستعمرات الأمريكية، وجاء معبراً عن دبلوماسية روسية تخدم مصالحها السياسية، وتجنباً لعرقلة التزاماتها وتعهداتها التجارية المرتبطة بطريق النقل البحري الخاضع لهيمنة وتفرد الأسطول البريطاني (Griffithe, 1970, p. 397). أما المفهوم الثاني فقد كان يتمحور حول ارتباط المصالح الروسية بسياسة التوازنات الدولية، المبدأ الذي أقرته كاترين الثانية عندما قررت لعب دور الوساطة بين المتحاربين لإنهاء الحرب، وألزمت نفسها بمدى قبول بريطانيا مناقشة مقترحات الوساطة الروسية عبر طاولة الحوار، وعدت مسألة الاعتراف باستقلال المستعمرات مرتبط بموافقة بريطانيا (Bemis, 1957, p. 165).

لعل ما اشار اليه المبعوث البريطاني في بطرسبرغ تهديد ولكن بأسلوب دبلوماسي مبطن، الغرض منه الزام روسيا وحلفائها في عصبة الحياد المسلح على تأكيد تعهداتهم بالحفاظ على التوازنات الدولية، بعيداً عن الانخراط في تكتل جديد يمنح المستعمرات الأمريكية المنتفضة وحلفائها فرصة الثأر من بريطانيا، التي لازالت تملك زمام المبادرة الدبلوماسية

---

(٤) جيمس هاريس مالمسبري(٢١نيسان ١٧٤٦–٢١تشرين الثاني١٨٢٠):- دبلوماسي وسياسي بريطاني، شغل منصب السكرتير الأول للسفارة البريطانية في مدريد خلال الفترة ١٧٦٨–١٧٦٩، أصبح مبعوثاً لبلاده فوق العادة الى بروسيا خلال الاعوام ١٧٧٢–١٧٧٦، وفي خريف ١٧٧٧ شغل منصب المبعوث البريطاني المفوض فوق العادة لبلاده في سانت بطرسبرغ وأستمر في منصبه حتى أيلول عام ١٧٨٣م.

لتسوية قضية الحرب الدائرة في أمريكا الشمالية، الى جانب ذلك نبه هاريس دول العصبة حول مسألة وضع الملاحة البحرية في البحار الدولية مازالت تقع ضمن أهتمام الاسطول البريطاني.

المحور الرابع:-دور الدبلوماسية الروسية في أنهاء الحرب:-

إن تعثر الدبلوماسية البريطانية في أقناع وامتناع القوى الدولية التقليدية الأوروبية باستمالتها الى جانبها إبتداءً من تزويدها بالأسلحة والمعدات الحربية وحتى الوساطة المشروطة لأنهاء الحرب، عدّ منعطفٌ خطيرٌ اسهم في تثبيط سياستها الخارجية، وسمح للأمريكيين الخوض في معترك السياسة الدولية مع ضمان وجود الحليف الفرنسي المؤثر في صنع القرار السياسي الأمريكي (Griffiths, 1969, p. 23). الى جانب ذلك رحبت المستعمرات الامريكية بالحياد الروسي الذي حال دون أستمرار أدامة المجهود الحربي البريطاني، جاء لصالح المستعمرات وفرنسا لأجل أنهاك البريطانيين في أدامة أمد الحرب لأطول مدة ممكنة، ومن ثم أنتزاع أعترافها باستقلال المستمرات دون قيد او شرط (Williams, 1950, p. 4).

الجدير بالذكر أن الموقف البريطاني المتصلب تجاه تقرير مصير المستعمرات لم يستمر طويلاً، وعلى الرغم من أستمرار محاولات روسيا لإنهاء الحرب، لاسيما بعد أن حظيت دبلوماسية الوساطة بثقة ورغبة المستعمرات في تقديم الحلول السياسية والدبلوماسية على القوة العسكرية في ايقاف الحرب بين الجانبين. وبالمقابل كانت المستعمرات من جانبها متخوفة من المضي منفردة من دون التواصل مع فرنسا في أتخاذ قرار بذلك الشأن، وبالتالي فأن قضية فقدان الدعم الفرنسي لها في حال فشلت الوساطة الروسية في التوصل لتوافقات سياسية مع بريطانيا، سيعقد المفاوضات ويرجح كفة بريطانيا من دون الرعاية الفرنسية للشؤون الأمريكية (Syrett, 1960, p. 83). ومن جانب آخر استمرت الجهود الدبلوماسية الروسية بتقديم عروض الوساطة على وفق دبلوماسية الحياد، ولكن بأسلوب دبلوماسي مبطن بعيد عن التعاطف مع رغبة المستعمرات بالتحرر والاستقلال، وأن لا تفهم بريطانيا تلك المحاولات الروسية تدخلاً في شؤون المستعمرات الأمريكية، التي بدت أكثر نشاطاً بعد تاريخ التاسع عشر من تشرين الأول١٧٨١، لاسيما بعد أن ارغمت الهزائم العسكرية الحكومة البريطانية قبول عرض الوساطة الروسية لأنهاء الحرب (Williams, 1950, p. 5).

وبالرغم من ذلك لم تكن الوساطة الروسية بالأمر الهين من دون دعم دولي، عبر الترتيب لعقد مؤتمر يضم الدول الكبرى المنظوية في تحالف الحياد المسلح، وذلك الأمر كان محل رفض بالنسبة للمستعمرات الأمريكية، لكون تلك الدول كانت رافضة لحضور ممثل عن المستعمرات، لأنها عدت التميل الدبلوماسي للمستعمرات بمثابة أعتراف مسبق باستقلالها، علاوةً على ذلك فأن المستعمرات الأمريكية غير واثقة ومتخوفة من تعاون الدول الأوروبية الكبرى معها، التي لربما تربط قضية الاستقلال بفرض شروطها وقبول تعهداتها التي قد تقوض فرص الاستقلال وتجعله مرهون برغبات تلك القوى الدوليه، مما قد يلزمها الدوران في فلك الالتزامات الدولية في تحقيق مشاريعها المستقبلية، وبالتالي أفقادها تحقيق الهدف الذي حاربت بريطانيا لأجله (Bemis, 1957, p. 181).

دافعت كاترين الثانية عن أستمرار وأنجاح محاولات الوساطة الدبلوماسية الروسية، وأمرت في الخامس والعشرين من شباط عام١٧٨٢مستشار الشؤون الخارجية أرسال تعليمات وتوجيهات الإمبراطورة لسفرائها في لندن وباريس لعرض المبادئ الاساسية المتفق عليها لأنهاء الحرب، وأن موقفها الوسطي المحايد يحظى بالدعم والموافقة النمساوية-الاسبانية، وبذلك نجحت كاترين في أستمالة بريطانيا الى قبول الوساطة لإحلال السلام، وعلى وفق ذلك رحبت الدول الكبرى بمقترح الوساطة الروسية بما فيها بريطانيا، ولكن دون فرض أية ارادة دولية، وبالمقابل وضعت روسيا شرط عقد هدنة بين الطرفين حددت بموجبها طرفي النزاع على التقيد بإجراء المفاوضات المباشرة بينهما تمهيداً لعقد معاهدة للصلح (Williams, 1950, p. 182).

استغلت روسيا القيصرية كل ما من شأنه أحداث تغيير في تخلي بريطانيا عن موقفها المتصلب تجاه المستعمرات الأمريكية، رغم أن الدبلوماسية الروسية حظيت بالدعم الدولي لأنهاء الحرب، إلا أن ذلك الأمر لم يكن بالشيء اليسير ما لم تكن المستعمرات قادرة على أحداث ذلك التغيير لقلب طاولة الحوار وارغام بريطانيا على الرضوخ لمقترح الدول الكبرى وعلى رأسها روسيا وفرنسا واسبانيا لإحلال السلام، وبالفعل كانت هزيمة بريطانيا عسكرياً قد أحدثة أنفراجة كبيرة في قبول الوساطة الروسية.

رغم المواقف الدولية الداعمة لأنهاء حرب المستعمرات الأمريكية إلا أن الدبلوماسية الروسية كانت محل قبول وأطمئنان مقيد لبريطانيا والمستعمرات الأمريكية، وان رعاية مفاوضات الصلح تعتمد على هدنة ايقاف العمليات الحربية بين الجانبين، لضمان حقوق المستعمرات الأمريكية في التفاوض أصر الأمريكيين على أشراك روسيا القيصرية وعلى درجة كبيرة في قضية دخول المستعمرات وبصورة مباشرة ومن دون وصاية دولية في تقرير مصيرها بعد المفاوضات، او لزامها توقيع معاهدات مع حلفائها اثناء الحرب (Griffithe, 1970, p. 401). رفضت كلاً من بريطانيا وفرنسا تلك المطالب، متذرعة بحجج سياسية منها أن المستعمرات لم تعد حتى ذلك الوقت دولة ذات كيان مستقل بالمفهوم الدولي، وعلاقاتها الخارجية كانت جزء لا يتجزأ من مصالح ونفوذ الدول الكبرى خلال فترة حرب الاستقلال، رغم الدعم الفرنسي–الاسباني لها خلال تلك السنوات، ولربما كان قصد فرنسا الزام المستعمرات بعد استقلالها بأن تكون تابعة لتوجهات السياسة الخارجية الفرنسية، وان تكون أحد ادوات الهيمنة الفرنسية السياسية والاقتصادية الناجحة في أنفاد سطوتها الدولية لأضعاف بريطانيا، وأجبارها على التخلي عن هيمنتها الاستعمارية في ذلك الجزء من العالم (Bolkhovitionv, 1975, p. 25).

فقد آلت الامور في نهاية المطاف الى دفع جانبي الصراع على قبول مناقشة مقترحات الوساطة الروسية، وبالمقابل فأن جهود المبعوث الروسي الى باريس لم تكن قد تكللت بالنجاح، وأن المقترحات المقدمة بحاجة الى أنضاج وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بمسألة التسويات الدولية السياسية، الى جانب قبول وضع قضية البحار الدولية والممرات البحرية على الحياد(Bolkhovitionv, 1975, p. 26) ومن جانب أخر كانت مشاركة المبعوث الروسي الدبلوماسية في باريس قد أسهمت في ترقية المقترحات الهادفة الى ايقاف الحرب، وبدأ مرحلة التسويات السلمية برعاية دولية، إذ أمتدت تلك المباحثات الدبلوماسية من نيسان ١٧٨٢ حتى صيغت بنودها في الثلاثين من تشرين الثاني١٧٨٢، وأصبحت معدة للتوقيع بصورة نهائية بعد قبول اسبانيا المعترضة على المعاهدة الوساطة الروسية في التحكيم بين المتحاربين، لتكتمل موجبات توقيع المعاهدة في الثالث من ايلول ١٧٨٣، لتعلن للعالم أنتهاء حرب الاستقلال الأمريكية، الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة الامريكية الدولة الجديدة، وبموافقة بريطانيا وفرنسا والدول الاوروبية الكبرى الأخرى، وبذلك اعلنت روسيا القيصرية ترحيبها بالقرار الدولي الذي جرى تحت رعايتها السياسية والدبلوماسية معلنةً عن تنظيم علاقات دبلوماسية وابرام اتفاقات تجارية رسمية بين الجانبين لتنظيم وحماية التجارة في الممرات والبحار الدولية (Smith, 1989, p. 63)،وأقرت في مجلس الشيوخ الأمريكي في الرابع عشر من كانون الثاني ١٧٨٤(Bolkhovitionv, 1975, p. 26).

يبدو أن الدبلوماسية الروسية قد بنيت على عدة أعتبارات منها؛ أولاً:–الوقوف بوجه بريطانيا وتقويض نفوذها في منطقة شمال وغرب المحيط الهادئ ما دامت حرب المستعمرات الأمريكية وضعتها في موقف حرج، إذ فقدت تحالفاتها الأوروبية السابقة مع فرنسا واسبانيا اللذان دخلا الحرب الى جانب الامريكيين. ثانياً:– محاولات روسيا القيصرية كسر العزلة والانكفاء في تعاملاتها الاقتصادية والتجارية عبر استغلال الحرب لتوسيع دائرة نفوذها التجاري، الى جانب حماية حرية الملاحة في البحار الدولية، عبر المتاجرة مع المستعمرات الامريكية دون الرجوع للوساطة البريطانية. ثالثاً:– خروج كاترين الثانية من دائرة مخاوفها التقليدية في اسيا وأوروبا الى استغلال الحرب لتدشين علاقات ودية مع المستعمرات الأمريكية وعدم رضوخها لعنجهية واستبداد بريطانيا رغم المغريات والوعود، وبالمقابل عدت المستعمرات الأمريكية

دبلوماسية الوساطة الروسية بمثابة الصديق المهتم بالدفاع عن حقوق الأمريكيين، لتكون الحليف الاستراتيجي الداعم لقبول الاستقلال.

الاستنتاجات:

١-كانت العلاقات الروسية مع المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية مقيدة جداً بفرص التعاون التجاري دون الدخول في علاقات سياسية؛ لعل الأمر في ذلك يعود للأختلاف الإيديولوجي والبنيوي لطبيعة نظام الحكم المطلق في روسيا القيصرية، إلا أنه مع ذلك حاول الروس الولوج الى تنظيم نوع من العلاقات الدبلوماسية ولو بصورة غير مباشرة مع تلك المستعمرات على وفق استراتيجية حماية المصالح التجارية وتوسعها، لذلك نظر الأمريكيين لدبلوماسية الوساطة الروسية على أنها نابعة من مفاهيم القوى الدولية الصديقة، وبذلك نجحت كاترين الثانية بالخروج من العزلة الاوروبية، وأنخرطت في ممارسة دبلوماسية جديدة تنسجم مع طموحاتها التوسعية في مشاركة القوى الدولية الاوروبية الكبرى في الدفاع عن حقوقها الملاحية والتجارية.

٢-تبنى الآباء المؤسسون للولايات المتحدة الأمريكية منظوراً واقعياً متصل بالمصالح الأمريكية الناشئة، لاسيما بعد الموقف الدولي الضعيف المساند لحربهم الثورية، إلا أنهم وجدوا بالدبلوماسية الروسية نوع من التوازن الإقليمي رغم بعد روسيا عن دائرة الاحداث، لأن الدبلوماسية الروسية كانت مقيدة للتهديدات البريطانية، وانها أكثر قرباً للأمريكيين حتى من فرنسا واسبانيا، وما كان حياد روسيا ورفضها دعم بريطانياً رسمياً، إلا نوع من الأعتراف الفعلي بالاستقلال، بدليل تبدد وأنفراط ميثاق عصبة الحياد المسلح بعد توقيع معاهدة ١٧٨٣، وبذلك تجنب الروس الترويج لقضية الأعتراف الرسمي باستقلال المستعمرات الأمريكية، لكون الحرب لم تحسم بعد.

٣-نجحت كاترين الثانية في تبني أستراتيجية دبلوماسية متعددة الاهداف، جاء في مقدمتها عرقلة مشاريع الهيمنة البريطانية بشكل منفرد عن المنظومة الدولية، وأختارت الحياد لتجنب الدخول في مواجهة مسلحة مع خصومها التقليديين، إلا أنها ومن جهة أخرى بإمكانها التأثير على صياغة سياسات جديدة من شأنها تقويض الهيمنة الدبلوماسية الغربية على الشؤون الدولية.

٤-تبنت روسيا وبصورة غير مباشرة دبلوماسية خاصة لردع بريطانيا، ووضعت على رأس أولوياتها قضية الدفاع عن السياسة الدولية لتعزيز الترابط السياسي والدبلوماسي في صيانة مصالح الدول الكبرى بعيداً عن تداعيات الحرب.

٥-التركيز على مفهوم دبلوماسية الحياد الروسي، التي جاءت نتيجةٌ لقرارات قد أتخذها البلاط القيصري في السياسة الخارجية، لاسيما عندما أبدت كاترين الثانية أهتماماً خاصاً بمجريات تلك الأحداث المتسارعة على الساحة الإقليمية المنتفضة ضد الهيمنة الاستعمارية البريطانية، وعملت على أستغلال مجريات الحرب لصالح توجهاتها السياسية، ودشنت ذلك عبر تحفيز مستشارية الشؤون الخارجية على الانخراط في مضمار السياسة الدولية بدل العزلة، وعمدت الى تصدير سياستها الخارجية تحت مفهوم استراتيجية "الوساطة وقبول الحياد"، وكان عليها أبتداءً جلب انتباه الدول الاوروبية الاخرى المتضررة من الحرب لدعم دبلوماسيتها، لتحقيق الغايات والتطلعات الروسية.

المصادر والمراجع:-

Bemis, S. (1957). The Diplomacy of American Revolution. London.

Florinsky, M. (1955, Feb.). 'Russia and the United States. Current History 28, No. 162.

Griffiths, D. (1969, Mar.). 'Nikita Panin: Russian Diplomacy and the American Revolution'. Slavic Review 28, No.1.

Reddaway, W. (1961). History of Europe 1715-1814. London: Publisher Methuen & Co; 4th Ed.

Smith, D. (1989, Oct.). "A North American Neutral Indian Zone: Persistence of a British Idea.", Northwest Ohio. Journal of Ohio University Studies Quarterly. 61, Nos. 2-4.

Syrett, H. (1960). American Historical Documents. New York.

Szabo, F. (2007). The Seven Years War in Europe 1756-1763. Routledge.

Alexander, J. (1989). Catherine the Great: Life and Legend, 1989. Oxford University Press.

Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation. (Jan. 26 - Nov.29, 1779). The Russian and United States: 1765-1815, Catherine II. Ukase to the Admiralty College. Moscow.

Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation. (Sep. 28,1780). The Russian and United States: 1765-1815, Declaration of Catherine II on Armed Neutrality. Moscow.

Bashkina, N. (Aug.9-Sp. 20, 1776). Archive of Foreign Policy of the Russian Empire, The Beginning of Relation, The Russian and United States: 1765-1815. Moscow, Russia: Washington: US Government Publishing Office.

Bolkhovitionv, N. (1975). The Beginnings of Russian – American Relations 1775-1815. Harvard University Press.

Bolkhovitionv, N. (1999, Mar.). The Declaration of Independence: A View from Russia. The Journal of American History, Oxford University Press, Vol. 85, No. 4, , pp. 1373-1398.

Current, R. (1955). American History of Survey. New York.

Ferling, J. (2004). A Leap in the Dark: The Struggle to Create The American Republic. Oxford University Press.

Gaddis, J. L. (1990). Russian, the Soviet Union and the United State : An Interpretive History. London.

Golder, F. (1915, Oct.). 'Catherine II. and The American Revolution. The American Historical Review 21, pp. 93-107.

Griffithe, D. (1970, Nov. 3). American Commericial Diplomacy in Russia 1766-1783. The William and Mary Quarterly, Vol. 27.

Harry, W. (1981). A history of American War From 1745 to 1918. New York: Alfred A. Knopf.

Massie, R. (2012). Catherine the Great: Portrait of a Woman. New York: Random House LLC.

Nester, W. R. (2000). The Great Frontier War: Britain, France, and the Imperial Struggle for North America, 1607–1755. Praeger.

Nevins & Commager, A. (1992). A Pocket History of the United States. New York: Pocket Books; 9th. ed.

Nolan, C. (1997). Notable U.S. Ambassadors Since 1775: A Biographical Dictionary. Greenwood Publishing Group.

Vejarano , J. R. (1945, Vol.I, April). "La vida fabulosa de Miranda: Miranda en la corte de Catalina de Rusia" . Revista de America, pp. pp.181-198.

Williams, W. (1950). American –Russian: 1781-1947. New York.